أفول حضارة الغرب... ذلك قولهم بأفواههم

هدية الوعي

العدد الخاص (٤٥٠-٤٥١-٤٥٢)

يوسف الساريسي - بيت المقدس

الأحد في ٢٢ شعبان ١٤٤٥هـ الموافق ٢٠٢٤/٠٣/٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

أفول حضارة الغرب... ذلك قولهم بأفواههم

يوسف الساريسي– بيت المقدس

١ – مقدمة

أدى انهيار الإمبراطورية البيزنطية وسقوط القسطنطينية عاصمة الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية في يد الخلافة العثمانية سنة ١٤٥٣م إلى زلزال كبير في أوروبا؛ حيث أدى هذا الزلزال إلى تغير في نظرتهم إلى المسائل الدينية والسياسية، وهذا الأمر بجانب تأثر أهل أوروبا بحضارة المسلمين في الأندلس سابقًا ساعدا في خلق ظروف وبيئة جديدة أدت في النهاية إلى ظهور حركة الاصلاح الديني البروتستانتي على يد مارتن لوثر سنة ١٥١٧م، والذي أدى في النهاية إلى انقسام الكنيسة الغربية الكاثوليكية إلى كنيستين وظهور الكنيسة البروتستانتية.

هذه الهزات العنيفة التي هدمت أركان الكنيسة الشرقية وضربت أسس الكنيسة الغربية كانت دافعًا للأوروبيين للتفكير في دور الدين في الحياة والمجتمع والدولة. ومع أن هذه الهزات كان بسبب تأثر أوروبا بالإسلام ولكنهم لم يفكروا في الإسلام كبديل لنصرانيتهم؛ ولكن هذه الهزات العنيفة أحدثت عندهم هزات ارتدادية فكرية؛ حيث حدث صراع

عنيف بين المفكرين والفلاسفة في أوروبا من جهة، وبين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية من الجهة الأخرى، وقد توصلوا إلى حل وسط لإدارة هذا الصراع بتبني مفهوم العلمانية، أي فصل الدين عن الحياة وعن الدولة، كأساس ومنطلق لمبدئهم الجديد وهو المبدأ الرأسمالي.

ويلاحظ أن الانتقال في بريطانيا –ذات المذهب البروتستانتي– إلى الرأسمالية كان سلميًّا بعد ثورة كروميل التي بدأت سنة ١٦٤٢م؛ ولكن هذا الانتقال كان عنيفًا ودمويًا جدًّا في فرنسا –ذات المذهب الكاثوليكي– بعد الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، وهذا يخبرنا عن سر الإلحاد والعلمانية اللائكية في فرنسا، ومقدار الحقد الفرنسي على الدين.

٢– فساد الأساس الذي قام عليه المبدأ الرأسمالي

بعد هذا الصراع نشأ المبدأ الرأسمالي في أوروبا، في القرن السادس عشر الميلادي وما تلاه، وقام على أساس فصل الدين عن الحياة، وصارت نظرة الرأسماليين للحياة نظرة دنيوية منقطعة عن الدين والأخلاق والقيم – اللهم إلا عن القيمة المادية – وقد بنوا هذه النظرة للحياة بأنها صراع للبقاء كما في عالم الحيوان، تلك النظرة الداروينية التي تقوم على أن حياة البشر أيضًا هي صراع، وأن البقاء فيها هو للأصلح. نعم، هذه هي نظرتهم للحياة، نظرة حيوانية يحكمها قانون الغاب لا إنسانية فيها.

وعلى هذا الأساس ومن هذه النظرة الداروينية، طفقوا يشيدون أنظمة الحياة من سياسة واقتصاد وحكم وتعليم وغيرها، فقام الفلاسفة والمفكرون الرأسماليون بإنشاء نظام اقتصادي منبثق من عقيدة العلمانية والنظرة الداروينية للحياة، وخصوصًا على يد آدم سميث في بريطانيا في كتابه ثروة الأمم الذي نشره في ١٧٧٦م، وصارت بريطانيا وغيرها من الدول الرأسمالية تطبق هذا النظام الاقتصادي الرأسمالي فعليًّا.

وما هي إلا سنوات قليلة حتى ذاق أهل أوروبا أنفسهم الويلات الناجمة من تطبيق هذا النظام الاقتصادي الرأسمالي الدارويني الذي يحابي الأغنياء والأقوياء على حساب الضعفاء والفقراء، فانتفضوا عليه وصاروا يبحثون عن نظام آخر أكثر عدالة، فبدأت تظهر أفكار اشتراكية الدولة، والتي كانت تنادي بالعدالة الاجتماعية والملكية الجماعية للموارد ووسائل الإنتاج.

ثم أنبتت أوروبا من رحم نظرتها الداروينية الاجتماعية أحزابًا ودولًا رأسمالية عنصرية كالنازية في ألمانيا، والفاشية في إيطاليا، والتي أخذت بالتوسُّع والاعتداء على البشر، وقامت بأعمال الإبادة الجماعية والحرق للأعراق الدونية، فاجتمع الغرب بنفسه للقضاء عليها وعلى شرورها في الحرب العالمية الثانية بسبب عنصريتها وتعاليها على البشر، ويفتخر الغرب بأنه قضى على النازية والفاشية المتولِّدة من الداروينية الاجتماعية، والتي هي جزء من نظرتهم الرأسمالية للحياة، مع أن الغرب

نفسه ما زال مستمرًّا بتبني هذه النظرة العنصرية ولكن بشكل خفي غير ظاهر، وقد رأينا ذلك واضحًا عند ترامب في أمريكا، وكذلك عند اليمين المتطرف الذي فاز في انتخابات كثيرة في أوروبا.

٣- وجود المبدأ الشيوعي كان إعلانًا بفشل الرأسمالية

ظهر من رحم الرأسمالية الفاجرة فكرة الاشتراكية الماركسية على يد ماركس حوالى سنة ١٨٥٠م، ثم نجح حزب شيوعي في روسيا بالوصول للحكم وبتطبيق أفكار الماركسية سنة ١٩١٧م. وبقيام دولة الاتحاد السوفياتي بتطبيق المبدأ الشيوعي وجد بالفعل النموذج المنافس للرأسمالية في أوروبا ذاتها، وبذلك تكون أوروبا قد أعلنت بنفسها فساد النظام الرأسمالي وعدم صلاحيته لعلاج مشاكلها وصارت تنادي باستبداله، فأخذت الشيوعية تزاحم الرأسمالية وتقوم فعليًّا بمحاولة إزاحة الرأسمالية من أوروبا والعالم، ونجحت الشيوعية في الانتشار في دول شرق أوروبا والصين وغيرها، وهذا هدَّد فعليًّا النموذج الغربي للرأسمالية المطبق في بريطانيا وفرنسا وأمريكا، خصوصًا أثناء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي.

ولكون النظام الرأسمالي نظام متلون ومطاطي بطبيعته؛ حيث لا توجد فيه عقيدة صلبة، ولا قيم ثابتة من إنسانية أو أخلاقية أو روحية؛ حيث لا يعترف بهذه القيم عمليًّا بل لديه قيمة وحيدة هي المنفعة والربح؛ ولذلك يلاحظ أن أتباع المبدأ الرأسمالي ليس لديهم إيمان راسخ بالأسس

التي قام عليها مبدؤهم، وبالتالي من السهل عليهم أن يخلعوا جلدهم ويدوسوا بنعالهم الأفكار والأنظمة التي انبثقت عن مبدئهم وطبقوها عمليًّا وحاولوا جهدهم لنشرها في العالم، فلا يمنعهم مبدؤهم من تغيير أنظمته الفاسدة بأنظمة جديدة معدَّلة تتناسب مع الظروف والوقائع المتغيرة.

فمثلًا، عندما هدَّدهم النظام الشيوعي بالاشتراكية، قاموا بالالتفاف على الشيوعية فتبنوا اشتراكية الدولة لترقيع هذا النظام الفاسد الظالم المتحيز للأغنياء والأقوياء. وعندما هدَّدهم الفشل العملي لنظامهم الاقتصادي بعد الكساد العظيم سنة ١٩٢٩م، جاء أحد مفكريهم وهو الاقتصادي الإنجليزي كينز وقلب الأسس الاقتصادية التي تقوم عليها الرأسمالية الكلاسيكية لآدم سميث، ومنها ميكانيكية الثمن واليد الخفية، وصار ينادي بضرورة تدخل الدولة في الاقتصاد، وقامت الدول الرأسمالية بتنفيذ الكينزية ومشت وراء ترقيعاته؛ ولكنها ما لبثت أن عادت القهقرى شيئًا فشيئًا، فعادوا إلى الاقتصاد الحر الأصلي في فترة حكم ريغان وتاتشر بعد ١٩٨٠م. ثم بعد انهيار الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٩١م، بدأوا بسياسات الخصخصة والعولمة وأسسوا منظمة التجارة العالمية، وأصابتهم النشوة الحضارية وصاروا يشعرون بأن حضارتهم هي حضارة نهاية البشر التي لا تدانيها حضارة في التقدم والرقي، ولن يكون بعدها حضارة تسمو عليها، كما زعم المفكر الأمريكي فوكوياما.

٤– بداية التراجع والأفول للرأسمالية

استغلَّت أمريكا أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١م، فأخذت تغزو العالم الإسلامي عسكريًّا واقتصاديًّا، فقام بوش بحروبه الصليبية وغزا أفغانستان ٢٠٠٢م، ثم العراق ٢٠٠٣م؛ ولكنه تعرض إلى انتكاسات عسكرية وسياسية مما اضطر أمريكا إلى الانسحاب منهما. وأمريكا منذ ذلك الوقت وهي في تراجع اقتصادي وسياسي مستمرَّان، فقد تعرضت أمريكا والعالم في العام ٢٠٠٨م إلى أزمة مالية عصفت بالنظام الرأسمالي بشكل عنيف ولم تتخلص من تبعاته حتى الآن، وهناك مشكلة الدَّين الأمريكي العام الذي كان ضئيلًا نسبيًّا سنة ١٩٨١م، ووصل ما يقارب ١ ترليون دولار عند بداية حكم ريغان؛ ولكنه كان يزداد مع مرور الوقت، فوصل إلى ٥,٥ تريليون سنة ٢٠٠٠م، ثم وصل إلى ما يقارب ٣٤ تريليون في بداية ٢٠٢٤م، وسقف الدين ما زال في ارتفاع، إلى أن يخِرَّ عليهم هذا السقف من فوقهم بمشيئة الله تعالى.

وهكذا اهتزَّت أركان النظام الرأسمالي فكريًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا وكاد أن ينهار، بعيد الأزمة المالية سنة ٢٠٠٨م، ولكنه لم يواجه منافسًا عالميًّا يوجه له الضربة القاضية، وكذلك لم يعد يشعر العالم الرأسمالي بحاجته إلى أن يغير جلده كما حدث في السابق عند وجود التحديات أمامه، وهو ما زال سادرًا في غيِّه دون التفات إلى العورات والثغرات التي تتسع يومًا بعد يوم، من جراء سوء تشخيصه للمشاكل الاقتصادية

والسياسية والفكرية وسوء علاجه لها، وهو يسير إلى حتفه المحتوم – عاجلًا أو آجلًا– كما شهد بذلك القريب والبعيد.

٥– شهادات البعيد بقرب أفول الرأسمالية

أما البعيد، فقد شهد بقرب نهاية المبدأ الرأسمالي، وأبرز من تنبأ بانهياره كان ماركس وإنجلز، وهما اللذان طوّرا نظرية الرأسمالية وتنبَّآ بانتهاء الرأسمالية في نهاية المطاف؛ نظرًا للصراع الطبقي بين الطبقات الاجتماعية وأنها ستصل إلى نهايتها وسيحلُّ محلها نظام جديد وهو الشيوعية، كما فصل ذلك في كتابه "رأس المال: نقد الاقتصاد السياسي" سنة ١٨٦٧م. وكذلك أشار فلاديمير لينين سنة ١٩١٦م خلال الحرب العالمية الأولى في كتابه "الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية" إلى أن الإمبريالية تتميز بانتشار الاستعمار والاستثمار الأجنبي، مما يؤدي إلى زيادة الصراعات الاقتصادية والجيوسياسية بين القوى الكبرى الرأسمالية على الموارد والنفوذ. وهذا يزيد من الاضطرابات الاجتماعية والتوترات الطبقية، مما يمكن أن يؤدي في بعض الحالات إلى ثورات شعبية ضد النظام الرأسمالي.

وكذلك كتب الشيخ تقي الدين رحمه الله كتاب نظام الإسلام وكتاب النظام الاقتصادي سنة ١٩٥٣م وغيرها من الكتب والنشرات، وأبان فيها عورات المبدأ الرأسمالي فكريًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا، وأنه مبدأ فاسد

ولا يعالج المشاكل بشكل صحيح، وأن هذا الفساد الرأسمالي، سيستبدل بنظام الإسلام الصحيح الذي سينشر في الأرض ويحكمها بشريعة الإسلام بمشيئة الله تعالى.

٦– أفول الرأسمالية: وشهد شاهد من أهلها

وأما القريب، وهم مفكرو الرأسمالية وفلاسفتها أنفسهم، فهم أيضًا شهدوا في الماضي وما زالوا يشهدون على فساده وقرب انهياره، وشهادة شاهد من أهلها، يكون عادة أبلغ وأعظم أثرًا في عيون الناس حين يكون هذا الشاهد من الداخل. وفكرة سقوط الرأسمالية ليست فكرة جديدة، بل هي بدأت مع كتاب (صعود وسقوط القوى العظمى) وهو للمفكر الأمريكي بول كينيدي في أواخر السبعينيات، الذي تنبأ حول أمور قد تحقَّق معظمها تتعلق بالصين وآسيا والاتحاد السوفياتي وأمريكا. وهو أول كاتب أمريكي يتحدث صراحةً عن إمكانية أفول الحضارة الأمريكية كنظام سياسي واقتصادي. بينما كان يرى فرانسيس فوكوياما سنة ١٩٩٢م أن أمريكا ستبقى كدولة أولى على رأس النظام الدولي لمئة عام قادمة، وما هي إلا أمنيات لن تتحقق.

وكان صامويل هنتنجتون في كتابه "صراع الحضارات" سنة ١٩٩٦م، هو من بدأ باستشعار بالخطر، وعدم الثقة بالهيمنة المطلقة للرأسمالية، مبينًا بالأدلة والوقائع أن التاريخ لم ينتهِ لصالح الرأسمالية الغربية بسقوط

المبدأ الشيوعي على جدار برلين سنة ١٩٨٩م، ولم تحقِّق الليبرالية انتصارها الحاسم، وإنما طبيعة الصراع تغيرت من مرتكزات أيديولوجية واقتصادية إلى منطلقات ثقافية وإيمانية حضارية. ويعتبر أن الصراع الحضاري القادم على المدى القريب سيكون بين ثلاث حضارات، وهي الحضارة الغربية الرأسمالية والحضارة الصينية والحضارة الإسلامية، أما على المدى البعيد فإن هذا الصدام المحتمل سيكون محصورًا بين الحضارة الغربية الرأسمالية وبين حضارة الإسلام. ويذكر هنتنجتون بأن الحضارة الغربية وأمريكا وإن كانت تتحرك على المسرح الدولي بقوتها الاقتصادية والسكانية؛ ولكن هناك ما هو أهم، وهو الانهيار الأخلاقي والانتحار الثقافي والتفكك السياسي الذي يقود الغرب إلى مسرح الانهيار.

٧- كتب وتنبؤات غربية بأفول الحضارة الرأسمالية

إن انهيار الرأسمالية هي نبوءة للعديد من مفكري الغرب أنفسهم. والسؤال الجوهري عندهم ليس عن كيفية الانهيار ولا عن أسبابه، بل عن موعده، هل سيكون الانهيار قريبًا أم سيتأخر؟ وللتوكيد على أفول الحضارة الرأسمالية الغربية وقرب سقوطها، سنقوم بسرد شهادات مجموعة من هؤلاء المفكرين والفلاسفة الغربيين من أهل تلك الحضارة، والتي تشير إلى فساد الحضارة الرأسمالية وعلى قرب أفولها، وسيكون الذكر أدناه وفقًا لتاريخ نشر هذه الكتب ثم تعقيب قصير على كل واحد منها، وهي كما يلي:

١- كتاب "صعود وسقوط القوى العظمى"، لبول كينيدي، سنة ١٩٨٧م

في كتابه "صعود وسقوط القوى العظمى" يكشف المؤرخ بول كينيدي سياسات واقتصاديات القوى العظمى من سنة ١٥٠٠م وحتى ١٩٨١م وسبب أفولها، موضِّحًا بأن صعود القوى العظمى مرتبط بتوفر المصادر الاقتصادية، وأن هيمنة القوى العظمى لها علاقة قوية بالموارد المتاحة وتحمل الأعباء الاقتصادية، وإن التمدد العسكري المفرط الذي لا يتناسب مع توفر هذه الإمكانيات يؤدي بالتالي إلى التقهقر والأفول النسبي المصاحب، وإن أكثر التحدِّيات التي تواجه القوى العظمى هي المتطلبات الأمنية التي تتجاوز ما يمكن أن تقدمه مواردها المتاحة، والطموح المتزايد والذي لا يتوفر له قاعدة اقتصادية.

وبناءً عليه يتنبَّأ بانحطاط الاتحاد السوفياتي، وصعود الصين واليابان، وكفاح وجودي للسوق الأوروبية المشتركة، والانحطاط النسبي للولايات المتحدة الأمريكية حتى نهاية القرن العشرين، ويتوقع أن أي عجز أو قصور بالتمويل، خصوصًا على الجانب العسكري سيؤدي إلى أفول نجم أي قوة عظمى.

طبَّق كينيدي هذا «القانون» على الولايات المتحدة، فإذا به يصل إلى نتيجة متشائمة مؤداها أنها قد أصابها بالفعل هذا المرض الذي أصاب من قبلها. فقد تمتَّع الاقتصاد الأمريكي في ١٩٤٥م بإنتاجية عالية، ثم

شهدت حصتها من الإنتاج والتجارة العالمية بعد ١٩٦٠م تراجعًا نسبيًّا. ثم في ١٩٨٠م، شهدت تراجعًا مستمرًّا في صادراتها الزراعية والصناعية، ثم تحوَّلت من أكبر دائن إلى أكبر مَدين بوتيرة متسارعة؛ وذلك بسبب التوسُّع الزائد عن الحدِّ في فرض النفوذ، والذي يفرض عليها نفقات اقتصادية وأعباء سياسية واجتماعية، لا تقدر على تحملها، فإذا بها تنكمش وتضطر إلى تقليص نفوذها، وهذا سيؤدي حتمًا إلى الأفول وفقدان القوة.

تعقيب على الكتاب: يحيل الكاتب أفول انهيار القوى العظمى إلى العامل الاقتصادي فقط، وهذا قصور في فهم مقومات تشكُّل القوة العظمى كالمبدأ والثقافة والقوة الناعمة والقوة العسكرية والسياسية وغيرها، وسبب التفات الباحثين لكتابه هو تنبؤه بسقوط الاتحاد السوفياتي وصعود الصين، وهو ما جعل لرأيه نوعًا من المصداقية؛ ولكن تنبؤه ليس مبنيًّا على الحقيقة. فالنهضة لها أساس تقوم عليه وهو الفكر المبدئي، ومنها يحصل التحسن في الاقتصاد والسياسة والتعليم والقوة العسكرية وغيرها، وما حصل مع الاتحاد السوفياتي هو انهيار منظومة المفاهيم والمقاييس والقناعات الشيوعية، وصعود الصين هو صعود اقتصادي ضمن المنظومة الرأسمالية وبإرادتها، أما أفول القوة الأمريكية فمردُّه ليس إلى العامل الاقتصادي بشكل أساسي، بل إلى تزعزع

منظومة القيم والأنظمة الرأسمالية داخليًّا وخارجيًّا، ووجود انقسام وشرخ عميق ينخر المجتمعات الغربية وأوساطها السياسية.

٢- كتاب "رقعة الشطرنج الكبرى، الأولوية الأمريكية وضرورتها الاستراتيجية" لزبغنيو بريجينسكي سنة ١٩٩٧م.

مؤلف الكتاب هو عالم سياسة واقتصاد وهو أستاذ في جامعة هارفارد. ويتناول كتابه قضايا السياسة الخارجية الأمريكية والتحديات التي تواجه الولايات المتحدة في العالم الحديث. تركز فكرة الكتاب على مفهوم "الأولوية الأمريكية"، وهو مصطلح يشير إلى الأهمية التي تضعها الولايات المتحدة على نفسها وعلى دورها في العالم. يُقدم بريجنسكي في الكتاب تحليلًا للتحديات التي تواجه الولايات المتحدة وكيفية تحقيق الأولوية الأمريكية من خلال استراتيجيات محددة في مختلف المجالات، مثل الأمن القومي والتجارة الدولية والقيادة العالمية.

يعتمد بريجنسكي في كتابه على دراسة عميقة للسياسة الخارجية الأمريكية وتاريخها، مع التركيز على التحوُّلات الحديثة في النظام الدولي وتأثيرها على موقف أمريكا. يقدم الكتاب رؤية استراتيجية تهدف إلى تحقيق مصالح الولايات المتحدة في العالم بطريقة فعالة ومستدامة. ومما يذكره بريجنسكي، بأن المجتمع المنغمس في الشهوات (ويقصد أمريكا)

لا يستطيع أن يسنَّ قانونًا أخلاقيًّا للعالم، وأي حضارة لا تقدم قيادة أخلاقية سوف تتلاشى

تعقيب: الكاتب يحاول تقديم رؤية استراتيجية تهدف إلى تحقيق مصالح أمريكا في العالم بطريقة فعَّالة ومستدامة، وبهذا يريد مزيدًا من تغوُّل أمريكا على العالم، ويتغاضى عن الكثير من أسباب فشل سياسات أمريكا في العالم ومحاولتها فرض حضارتها وأنظمتها على العالم بالقوة ومحاربة الحضارات الأخرى وخصوصًا الإسلامية؛ ولكن أمريكا التي أصبحت تفقد القيادة الأخلاقية والقيمة الإنسانية بسبب أفعالها وأنظمتها الفاسدة لا تستحق أن تسنَّ للعالم قوانين أخلاقية وقوانين لحقوق الإنسان والمرأة والطفل وهي غارقة في إشباع شهواتها وانحيازها للباطل. ومصيرها إلى زوال بمشيئة الله.

٣- كتاب "بعد الإمبراطورية سقوط الحلم الأمريكي" لإيمانويل تود سنة ٢٠٠٣م

يعتبر الكتاب دراسة نقدية للسياسة الخارجية الأمريكية ومكانة الولايات المتحدة في العالم بعد انتهاء الحرب الباردة. يقدِّم تود تحليلًا للتحولات الجذرية التي شهدها العالم بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وكيف أثرت هذه التحوُّلات على النظام العالمي ودور أمريكا كقوة عالمية رئيسية. يركز الكتاب على فهم التغييرات الديموغرافية والاقتصادية التي

حدثت في العالم خلال القرن العشرين، وكيف أدت هذه التحوُّلات إلى تقويض القوة العالمية للولايات المتحدة.

تستند أفكار تود في الكتاب إلى تحليله للديمغرافيا والتاريخ والسياسة الاقتصادية؛ حيث يقدِّم وجهة نظر متفائلة نسبيًّا بشأن مستقبل العالم بعد تراجع النفوذ الأمريكي. وفي الوقت نفسه، يركز على التحولات التي تشهدها المجتمعات الغربية، ويشير إلى أن هذه التحوُّلات قد تؤثر على قوة وتأثير الغرب بشكل عام.

واستخدام الكاتب لمصطلح "سقوط الحلم الأمريكي" يشير إلى فقدان أو تراجع الثقة في الفرص والنجاح التي كان يمثلها النموذج الأمريكي للحياة، وذلك في مختلف الجوانب كالاقتصاد والسياسة والمجتمع. وهذا التحوُّل السلبي في الوضع له تأثير على الثقة في النظام السياسي والقدرة على التأثير في صناعة القرار.

تعقيب: الكاتب يحلِّل أسباب تراجع قوة وتأثير أمريكا والغرب في العالم وفي بلاد الغرب ذاتها، ويعزو هذه الأسباب إلى التغييرات السكانية والسياسة الخارجية والسياسات الاقتصادية؛ مما يؤدي إلى اهتزاز ثقة العالم والمجتمعات الغربية بأنظمتها المطبَّقة. وهذا صحيح لأنه يعبِّر عن تذمُّر الدول والمجتمعات في العالم من الغرب وسياساته؛ ولكن أسباب التراجع الحقيقية للرأسمالية الغربية هي في المبدأ الرأسمالي ذاته، الذي عجز عن تشخيص المشكلات في كل نواحي الحياة وفشل في حلها

لأنه بني على أساس فاسد، ونهضته التي حققها هي نهضة غير صحيحة ويقوم بالترقيعات كلما ظهر فشله هنا أو هناك؛ ولكن الترقيع له حد وبعده سيحصل الفشل التام للفكر الغربي داخليًّا وخارجيًّا، وسيزول هذا المبدأ الفاسد إذا وجد البديل الصالح المنافس له في الواقع الدولي.

٤- كتاب "أحزان الإمبراطورية -أميركا العظمى القناع والحقيقة" لتشالمرز جونسون، عام ٢٠٠٤م

يقدم الكاتب تحليلًا نقديًّا للسياسة الخارجية الأمريكية بعد سقوط الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة. يركز الكتاب على الأثر الذي تركه ازدياد القوة والتفوق العسكري الأمريكي على السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وكذلك على التداعيات السلبية المحتملة لهذا النوع من الهيمنة.

يقدِّم الكتاب رؤية نقدية للسياسة الخارجية الأمريكية بما في ذلك الحروب في العراق وأفغانستان، وعن الآثار الاقتصادية والسياسية والثقافية لهذه الحروب على أمريكا وعلى العالم، وعلى العواقب المحتملة للاستخدام المتزايد للقوة العسكرية في العالم.

وهناك صراع ما بين صلافة القوة الإمبريالية وبين الديمقراطية وتشوُّه ثقافتها وقيمها الأساسية، فالخطر يهدد الولايات المتحدة التي انطلقت في نفس طريق الاتحاد السوفياتي أثناء الثمانينات. والذي انهار لثلاثة

أسباب، وهي التناقضات الاقتصادية الداخلية نتيجة الجمود الأيديولوجي، وفرط التوسع الإمبريالي، والعجز عن الاصلاح. وقد يستغرق حدوث نفس النتائج وقتًا أطول لأن الولايات المتحدة أكثر ثراء، بيد أن التشابه بينهما واضح.

تعقيب: الكاتب يشبه أمريكا بالاتحاد السوفياتي قبل انهياره، ويحذر من خطر انهيار أمريكا، حيث يوجد تماثل بينهما. والأسباب التي يعزوها الكاتب للانهيار هي الجمود الفكري والتناقضات الاقتصادية والتوسع الاستعماري والعجز عن الإصلاح، وهي أسباب حقيقية يمكن أن تؤدي إلى فشل الدول أو انهيارها، ولكن يوجد فارق جوهري بين الاتحاد السوفياتي وأمريكا، وهو أن البديل الرأسمالي للشيوعية كان موجودًا وقويًّا، في حين لا يوجد الآن نموذج حضاري فعلي منافس كبديل لأمريكا وللغرب. والإسلام هو المرشح كبديل ولكنه غير متمثل في دولة تحمله فعليًّا.

٥- كتاب "انتحار الغرب": تأليف ريتشارد كوك وكريس سميث، سنة ٢٠٠٦م.

حدد المؤلِّفان ستة أعمدة رئيسية للحضارة الغربية وهي: المسيحية والتفاؤل والعلم والنمو الاقتصادي والليبرالية والفردية. ويبين المؤلِّفان كيف أن هذه الأفكار قد عانت طوال قرن من هجوم مستمر من

الداخل، وكيف أنها لم تبقَ بعد ذلك ملهِمةً للغرب أو موحِدةً له، وهو ما يجعل الانجراف نحو الانتحار الجماعي يبدو حتميًّا.

أما الانتحار، فيقصدان به النهاية الطوعية التي تفرضها الحضارة الغربية على ذاتها، نهاية لا دخل فيها لعدوان خارجي، والانتحار في الكتاب شكل من أشكال التحوُّل الحضاري الغربي الرائد إلى حضارة أخرى بقيم أخرى بعيدة عن القيم الغربية بالأعمدة الستة المميزة لها. فالحضارة الغربية في مفترق طرق بحيث يمكن للغرب أن يمضي في طريق الأنانية المركزية المتوحشة والعدوانية؛ مما سيؤدي إلى فاشية جديدة وإمبراطورية استعمارية جديدة، وسيكون ذلك مؤشرًا على انهيار وشيك لا محالة، تكون ارتداداته الداخلية مدمرة أكثر من الارتدادات الخارجية.

تعقيب: صحيح أن الأعمدة التي ذكرها الكاتبان هي من سمات الحضارة الرأسمالية الغربية؛ ولكن ليست هي مقومات المبدأ الرأسمالي، وبالتالي فكون بعض هذه السمات لم تعد ملهِمة للغرب مثل المسيحية والتفاؤل والعلم والنمو الاقتصادي ليس هو ما يوصل الغرب إلى الانتحار، والأنانية العدوانية المتوحشة والفاشية والاستعمار التي حذَّر منها الكاتبان هي أمور مقترنة بالرأسمالية منذ نشأتها ولم تنفكَّ عنها، وربما تغيَّرت الأساليب فقط. والكاتبان يبدو أنهما من المحافظين، ويريدان التركيز على قيم المحافظة التي كانت في أوروبا وأمريكا قبل الثورة

الجنسية في الستينات، وبالتالي يحذِّران من فقدان القيم المسيحية المحافظة في مجتمعات الغرب.

٦- كتاب "الرأسمالية في طريقها لتدمير نفسها" للمؤلفَين باتريك آرتو، وماري بول فيرار، سنة ٢٠٠٨م

في هذا الكتاب يشرح مؤلِّفاه تضاربًا ومفارقة عجيبة، وهي إعلان كبرى الشركات في العالم عن تحقيق أرباح غير مسبوقة، وتمنح مديريها مكافآت مجزية جدًا، وتوزع على حملة أسهمها أرباحًا قياسية، في حين يصاب النمو الاقتصادي – في أوروبا على الأقل – بالركود، ويكثر نقل المصانع للبلدان الأخرى، وتزداد البطالة وعدم استقرار العمالة. إنها فعلًا رأسمالية غير منطقية. ففي الوقت الذي تبدو فيه في أوج ازدهارها، نجدها تتعرض لأكبر الأخطار، فهي رأسمالية بلا مشروع، لا تستخدم مليارتها في أي شيء نافع، ولا تستثمر أو تعمل من أجل المستقبل. وفي مواجهة القلق الاجتماعي، لا تعالج الحكومات عادة إلا الأعراض؛ حيث لا تصل إلى أعماق المشكلة وجذور أسبابها لإيجاد الحلول الاقتصادية الصحيحة.

جذور المشكلة تتلخص في التوجُّهات الحالية التي تدعمها الرأسمالية في شكلها النيوليبرالي المتوحش السائد حاليًا، فهناك عدم معقولية في تصرفات كبار المستثمرين، فهم يطلبون من الشركات تحقيق أرباح

مرتفعة للغاية، والنتيجة أنها تبحث عن العائد بعد ثلاثة شهور، بدلًا من الاستثمار طويل المدى، وكذلك تلجأ إلى تخفيض أجور العمال، ولا تقوم بخلق فرص للعمل جديدة.

ويشرح الكتاب بالتفصيل وبالكثير من الأمثلة الحيَّة الاتجاهات المنحرفة التي تؤدي لحدوث المخاطر المحدقة بالرأسمالية حاليًّا، وهي أزمة للنظام الرأسمالي يبدو أمامها الكساد العظيم سنة ١٩٢٩م ضئيلًا. ويحلل كذلك أزمة النمور الآسيوية وآثار "التقليد الرشيد" الذي يجعل جميع المستثمرين يشترون معًا ذات الأوراق ويبيعون في الوقت نفسه أوراقًا أخرى بعينها، وما ينشأ عن ذلك من تقلبات خطيرة، كما أنه يكشف بالتفصيل فضائح الشركات الكبرى التي تقوم بالتدليس وإخفاء الحقائق.

وفي رأي المؤلفيْن للكتاب لا بد من التوقف عن اللهاث وراء الأرباح السريعة عن طريق المضاربة على الأوراق المشتقة وغيرها من الأدوات المالية. وهناك حاجة إلى الإسراع بإصلاح سياسة الادِّخار، وفرض قواعد جديدة لحسن إدارتها، سواء على المديرين أو أجهزة الإشراف، وبالتالي لا يمكن تجنب حدوث أزمة جديدة للرأسمالية، وما يستتبع ذلك من نتائج فظيعة، من دون اتخاذ الإجراءات السليمة لمنع ذلك. وبالتالي يكمن الحل في الرجوع إلى الطريق التقليدي عندما كانت الرأسمالية تقود عملية الإنتاج، وكانت تلعب دورًا ايجابيًا في تنمية

المجتمع، وعليه إذا لم يتم اتخاذ الإجراءات المناسبة، فإن الرأسمالية في طريقها لتدمير نفسها.

تعقيب: يشرح هذا الكتاب أن الرأسمالية تقوم بتدمير نفسها بسبب وجود خلل في طريقة التفكير لديهم وفي مقياس أعمالهم وهو المنفعة، فطريقة التفكير الرأسمالية –اقتصاديًّا– التي لا تغوص في البحث عن جذور المشاكل وأسبابها الحقيقية، ولا تعنى بإيجاد الحلول السليمة بعيدة المدى، بل تعنى بتحقيق المنافع الآنية والأرباح السريعة على حساب المنافع الحقيقية طويلة المدى. هذان الأمران يجعلان الرأسمالية تقوم بتدمير نفسها بيديها نتيجة اللهاث وراء الربح السريع؛ ولكن الكتاب يركز على العامل الاقتصادي بوصفه أساس الرأسمالية ونسي عقيدة العلمانية والأنظمة التي انبثقت عنها، ولم ينتبه إلى أن الخلل موجود أصلًا في جذور الفكرة الأساس في الرأسمالية وفي الطريقة العلمية في تفكيرها والتي انقطعت عن السببية الجذرية وانقطعت عن الغائية، فلم تعطِ أي معنى للإنسان والحياة والكون.

٧– كتاب "لماذا تفشل الدول: أصول القوة والازدهار والفقر" لدارون أكيموغلو وجيمس روبنسون، سنة ٢٠١٢م.

يقدِّم الكتاب تحليلًا شاملًا للعوامل التي تحدد نجاح أو فشل الدول والمجتمعات، ويقدِّم تفسيرًا للفجوات الهائلة في القدرات الاقتصادية

والسياسية بين الدول المختلفة. ويُثبت بأن الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة ليست نتيجة الفروق الفردية في المواهب أو الموارد الطبيعية، بل هي نتيجة للمؤسسات السياسية والاقتصادية. ويُشير الكتاب إلى أن الدول التي تعاني من الفشل والفقر هي تلك التي تعاني من مؤسسات سياسية واقتصادية سيئة، مثل الفساد وغياب سيادة القانون وعدم التمثيل الشعبي وتداخل النخب السياسية والاقتصادية. وفي المقابل، تزدهر الدول التي تتمتع بمؤسسات قوية وشفافة وديمقراطية؛ حيث يكون هناك فصل بين السلطات ويتمتع المواطنون بالحريات الأساسية والحماية القانونية.

يستدل الكتاب بأمثلة تاريخية ومعاصرة من مختلف أنحاء العالم، بدءًا من الإمبراطورية الرومانية وحتى الدول الناشئة في القرن الحالي، لتوضيح الفروق في الأداء الاقتصادي والسياسي، ويقدم نظرة شاملة لأهمية الهياكل المؤسسية في تحديد مصير الدول، ويقدم فرصة لفهم التحوُّلات التاريخية والعوامل التي تؤثر في تقدم الدول ورخاء شعوبها.

تعقيب: هذا الكتاب يثبت أهمية العمل المنظم المؤسساتي في النهضة الاقتصادية والسياسية، ويؤكد بأن الموارد والذكاء ونوع العنصر البشري ليست هي ما ينهض بالدولة. ولكن الإنعام في النظر يشير للجميع بأن العمل المنظم هو أمر ناتج عن نهضة فكرية مبدئية في الدولة،

وبدون فكر وأهداف واضحة وأعمال سببية منتجة فلا يمكن تحقيق أي عمل منظم في مؤسسات الدولة.

٨- كتاب "نظام التفاهة" للكاتب الكندي ألان دونو، سنة ٢٠١٥م

في هذا الكتاب يقول المؤلف إن التفاهة قد بسطت سلطانها على كافة أرجاء العالم. فالتافهون قد أمسكوا بمفاصل السلطة، ووضعوا أيديهم على مواقع القرار، وصار لهم القول الفصل والكلمة الأخيرة في كل ما يتعلق بالخاص والعام. وهو يدقُّ ناقوس الخطر للعواقب الوخيمة المترتبة عن هذه السيطرة المحكمة للتافهين في كل المواقع. وهو يشرح بشكل مفصَّل كيف مدَّت التفاهة أذرع سيطرتها في كل اتجاه وفي كل ميدان. من الميدان الأكاديمي إلى السياسي، فالاقتصادي والتجاري، والمالي والإعلامي والفني. بواسطة ترساناته العسكرية والحربية وقواه الناعمة من أكاديمية ومال وإعلام، وسيطر على كافة موارد الأرض؛ بحيث تمكَّن الفساد من ناصية منظومة الحكم العالمية، وأضحت العودة إلى الوراء شبه متعذرة؛ وأثرت التفاهة في بناء عوالم تقتل التميُّز والإبداع وتؤيد التخلُّف والجهل.

لكن المؤلف يعوّل على الدور الذي يمكن أن تؤديه النخب المثقَّفة التي عجز نظام التفاهة عن سحقها، والتي ما تزال قادرة على أن تفعل شيئًا

في وجه التدمير والتخريب الممنهج لكوكب الأرض، فيخاطب المثقف الحر، بقوله: (كن راديكاليًا) وهذا يعني السعي للتغير الجذري والجوهري للأمور، ويقول له: ارفض نظام التفاهة، وارفض الأنظمة التي تستغل الشعوب وتنهب خيراتها وتدمّر المواهب.

تعقيب: الكاتب يشير إلى مشكلة منبثقة عن المبدأ الرأسمالي والديمقراطية والتي تشجع على التفاهة واللامعنى للحياة وللأشياء، وتوصل للمناصب والسلطة أشخاصًا تافهين؛ لأن هذا النظام وهذه الدول تحتاج لهذه النوعية من الرجال، فلم يعودوا بحاجة إلى مفكرين راديكاليين جذريين، ولا إلى رجال دولة، ولا إلى علماء حقيقيين، لأن هذا لا ينسجم مع توجُّه المبدأ الرأسمالي الذي أفقد الغاية والمعنى للحياة وللإنسان وللكون، وبالتالي أوصل الرأسمالية الغربية إلى العبثية واللهو وفقدان المحتوى الجوهري للأمور، وهذه اللاغائية تنتج اللامعنى وتنتج التفاهة والتافهين، وهذه ستوصلهم إلى الفناء.

٩– كتاب "موت الغرب" للمؤلف باتريك بوكانان، سنة ٢٠١٥م.

عمل الكاتب بوكانان كمستشار لثلاثة رؤساء أمريكيين، وهو أيضًا إعلامي مشهور. وفي هذا الكتاب يبشِّر الكاتب بموت وانتهاء الغرب. وهو في الواقع موتان: موت أخلاقي بسبب السقوط الأخلاقي الذي

ألغى كل القيم التربوية والأسرية والأخلاقية التقليدية، وكذلك موت سكاني بالنقص والموت الطبيعي.

أما الموت السكاني فإن الغرب يموت بعد أن أصابته الشيخوخة، وتوقفت أممه عن التكاثر، وتراجع سكانه عن التوالد والنمو، وهذا لا يقلُّ تهديدًا عن الموت الأسود بالطاعون الذي حصد أرواح ثلث سكان أوروبا قبل ستة قرون. وهو وباء ومرض من صنع أيديهم وفي أنفسهم ومن صناعة أفكارهم.

وأما الموت الأخلاقي فسببته ثقافتهم الجديدة التي قامت بتفكيك المعتقدات والأفكار والقيم، فانهارت قيمة الأسرة، وانحسرت الأعراف الأخلاقية الدينية التي كانت تمنع الإجهاض والعلاقات الجنسية خارج الزواج، بل تجاوزت هذه الثقافة ذلك وقامت بتشجيع العلاقات المثلية الشاذة المنحرفة، وزادت بسببها حالات الانتحار وأعداد مدمني المخدرات.

فوفقًا للإحصاءات الحديثة، فقد هبط معدل الخصوبة عند المرأة الأوروبية إلى ١,٤ طفل لكل امرأة، والحاجة المجتمعية هي ٢,١ طفل كحد أدنى. وسكان أوروبا البالغ عددهم ٧٢٨ مليون عام ٢٠٠٠م سيتقلَّصون إلى ٢٠٧ ملايين في نهاية هذا القرن. فألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وروسيا واليابان تشهد تناقصًا في أعداد السكان، وفي المقابل

يشهد العالم الثالث وخاصة المسلمين، انفجارًا سكانيًّا، وستصبح أوروبا ملكًا لهم بعد وقت ليس بالبعيد!.

يخلص المؤلف إلى القول: إن هذه هي إحصاءات مجتمع منحط وحضارة تحتضر وتموت، وإن بلدًا مثل هذا لا يمكن أن يكون حرًّا. فلا وجود للحرية دون فضيلة، ولا وجود للفضيلة بغياب الإيمان. العدو الحقيقي للغرب ليس الآخر، ولكن الغرب ذاته الذي ينقرض بسبب جفاف خصوبته وموت أخلاقه وتآكل نظامه الأسري، وهذا لن يتوقف إلا بالقيام بثورة حضارية مضادة تعيد القيم الدينية والأخلاقية إلى مكانتها.

تعقيب: الكاتب يعتبر الغرب الرأسمالي قد مات أخلاقيًّا ونتج عن ذلك الموت السكاني للغرب، وسبب موته الأخلاقي هو الثقافة الغربية الجديدة التي هدمت القيم المحافظة مثل الأسرة والأخلاق الدينية، وهو يدعو إلى المحافظة على القيم التي كانت في أوروبا وأمريكا قديمًا. ويخشى الكاتب من أن يملك المسلمون أرض أوروبا بسبب تكاثرهم السكاني؛ ولكن الكاتب نسي أن أوروبا والغرب قد تخلَّوا عن الدين منذ قرون عندما اتخذوا العلمانية عقيدة لهم وتم فصل الدين عن الحياة، وبالتالي كانت نهضة الغرب بعد تبني المبدأ الرأسمالي. أما ضياع قيم المحافظة والأخلاق الدينية في المجتمع فبرز بعد الثورة الجنسية في الستينات من القرن العشرين، وهذه الثورة نتجت عن مفهوم الحريات وخصوصًا الحرية

الشخصية، وهي النتيجة الطبيعية التي كانت متوقعة منذ تبني فكرة الحريات الرأسمالية الأربعة. فالخلل يكمن ليس في النتيجة وإنما في السبب، وكان على الكاتب أن ينظر في أسباب المشكلة الحقيقية للموت الأخلاقي والسكاني وهي الفكر الرأسمالي والحريات والنفعية، وليس في نتائج المشكلة المتمثلة في التناقص السكاني.

١٠- كتاب "الانحطاط: من يسوع إلى ابن لادن، حياة وموت الغرب"، للفيلسوف الفرنسي ميشال أونفري، سنة ٢٠١٧م

مؤلف الكتاب المعروف بإلحاده لا يتوقف عن هزّ القواعد الفكرية والفلسفية والأخلاقية للمجتمع الفرنسي والمجتمعات الغربية، وهو يحاول استكشاف مستقبل الحضارة الغربية؛ حيث تنبأ الكاتب بقرب نهاية "الحضارة الغربية المسيحية" بسبب تخلّي المجتمعات الغربية عن القيم الحقيقية للديانة المسيحية، واعتمادها على الرأسمالية والماديات في حضارتها؛ حيث اتخذت من الماديات ومن الهوى إلهًا دنيويًّا يشبع رغباتها "الفردية" الأنانية دون الجماعية، فيما أهملت القيم والمبادئ الجوهرية التي تقرب الأفراد من بعضهم وتجعلهم مرتبطين بهوية مشتركة. وهو يذكر: "لقد عاشت وسادت الحضارة الغربية ... لكنها ستندثر قريبًا للأسف الشديد ... السفينة تغرق وليس بوسعنا سوى الهلاك معها بأناقة". ويرى أونفري أن الدين الإسلامي هو من أقوى الحضارات

المرشحة لخلافة الحضارة الغربية الآيلة للزوال والانحطاط الكُلّي. وهو يعتبَر من المدافعين عن الدول العربية والإسلامية، وهو يرى أن التكالبات التاريخية الغربية على العراق وسوريا وليبيا ومالي تنطلق من منطلقات غير منطقية، وينتقد الحروب التدميرية التي فُرضت على هذه الدول.

تعقيب: الكاتب يتنبَّأ بانهيار الحضارة الغربية بسبب نزعتها المادية والأنانية الفردية وتخليها عن القيم المسيحية التي تربط الأفراد ببعضهم، وأن الحضارة الإسلامية ستكون البديل لها لأنها ما زالت تحافظ على القيم الجماعية والدينية؛ ولكن الغرب قد تخلى عن الدين وفصله عن الحياة منذ نشأة المبدأ الرأسمالي في أوروبا ونادى بالفردانية وجعل القيمة الوحيدة هي القيمة المادية، وكان هذا أساس نهضته؛ ولكن الكاتب اعتبر التخلي عن القيم المسيحية والفردانية هي الأساس الذي سيؤدي إلى انحطاطه وانهياره، وهذه المعايير ليست هي المعايير الصحيحة التي تؤدي إلى انهيار الحضارات ما دامت المجتمعات الغربية تحافظ على أسس نهضتها الحضارية القائمة على الفكر الرأسمالي، وإن كانت هذه النهضة ليست صحيحة لأنها لا تقوم على أساس روحي.

١١- كتاب "النوايا الطيبة" لستيف والت، سنة ٢٠١٨م.

يقدم الكتاب تحليلًا معمَّقًا للسياسة الخارجية الأمريكية، ويقدِّم تحديات للمفاهيم التقليدية حول القوة والتأثير الأمريكيين في العالم. ويحلل الكاتب كيفية تشكل القوة الأمريكية، وما إذا كانت القرارات الخارجية التي اتخذتها الولايات المتحدة تحقق الأهداف المعلنة أم لا؟ ويناقش الأخطاء التي ارتكبتها الولايات المتحدة في السياسة الخارجية والتي أدت إلى ضعف مكانتها العالمية، ويقوم بتحليل للفشل الذي حدث في العديد من المناطق حول العالم، مثل الشرق الأوسط وأفغانستان.

واحدة من النقاط المهمة التي يتناولها الكتاب هي أن القوة العسكرية ليست دائمًا هي الحل الأمثل لحل النزاعات الدولية، وأن هناك حاجة لتقدير أكبر للعواقب غير المتوقعة للاستخدام العسكري، ويشير أيضًا إلى أن الجهود الدبلوماسية والاقتصادية قد تكون أكثر فعالية في تحقيق الأهداف السياسية والاستراتيجية. ويقول الكاتب بأن أفول صدارة الولايات المتحدة وانحدار دورها مردُّه إلى السياسات التي اتبعتْها. ويرى الكاتب أن ما يسمى «الهيمنة الليبرالية» أي لعب دور المهيمن لإدارة النظام العالمي حسب الرؤية الليبرالية، فشلت بشكل ذريع.

تعقيب: الكاتب يحلل انحدار دور أمريكا وأفول صدارتها في العالم لأسباب تتعلق بالهيمنة أي بسياسة استخدام القوة العسكرية المفرطة

كطريقة لحل النزاعات الدولية مما أدى إلى أخطاء وفشل، ويوصي بأن يتم إعطاء دور أكبر للدبلوماسية والمساعدات الاقتصادية؛ ولكن الكاتب تغاضى عن الكثير من أسباب فشل سياسات أمريكا في العالم ومنها الانحياز الكامل لكيان يهود واستعبادُ باقي الشعوب ومصُّ دمائها ونهبُ خيراتها عن طريق الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وفرضُ الدولار بدلًا من الذهب وغيرها من الأدوات، وكذلك محاولة أمريكا فرض حضارتها وأنظمتها على العالم بالقوة ومحاربة الحضارات الأخرى وخصوصًا الإسلامية. وهناك الكثير من الأمثلة والشواهد على فشل أمريكا في العالم في فرض حضارتها وسياساتها وأنظمتها. وما يبقيها قوية هو الفراغ الدولي من النماذج الحضارية المنافسة وخصوصًا الإسلام.

٨– خاتمة

كما أوردنا أعلاه، فقد تم ذكر أحد عشر كتابًا من الكتب التي تنبأت بأفول الحضارة الغربية الرأسمالية، وقد عقبنا على الخلاصة لكل كتاب منها، ويوجد غيرها الكثير من الكتب والدراسات التي عنيت بدراسة الحضارة الرأسمالية وتخوَّفت من أفولها أو انحطاطها أو جمودها وتفاهتها، وبعض هذه الدراسات تنبأت بأن يكون الإسلام هو البديل لهذه الحضارة لما يحويه من ميزات حضارية تفوق ما لدى الغرب من حضارة مادية.

وقد أردنا أن ندين هذه الحضارة من خلال شهادة شاهدين من أهلها ومن خلال ما يقولونه بأفواههم وما تخطه أقلامهم، وهناك العديد من الكتب والدراسات الأخرى التي تنبأت بأفول حضارة الرأسمالية وسقوطها، ولكننا آثرنا هنا أن نركز على قول مفكري الغرب أنفسهم لكي تكون الشهادة لها وقع خاص عند المخالفين لنا، فالموضوع ليس أمنيات وأحلام من قبل المسلمين بسبب كرههم وعدائهم للحضارة الغربية المناقضة للحضارة الإسلامية كل المناقضة، ولكن هو أمر سيقع وهو عملية فعلية تجري حاليًا ولا مناص من نتيجتها المحتومة بمشيئة الله تعالى.

وسنن الله تجري على الدول والحضارات وهي لا تحابي أحدًا، ومن سنن الله تعالى أن للدول والأمم أعمارًا كأعمار البشر، قد تطول أو تقصر وفق أسباب ونواميس معينة، فالدول الظالمة المتجبرة والتي تقوم على مناقضة الفطرة الإنسانية لا تعمر كثيرًا كالاتحاد السوفياتي، وهذه السنة تنطبق على الحضارات أيضًا باستثناء حضارة الإسلام لأنها حضارة ربانية وعد الله بحفظ الذكر الذي أنزله على رسوله، ومن لوازم حفظ الذكر حفظ من يقوم على حفظه وحمله وتطبيقه ، وهذا يجعل حضارة الإسلام ودينه باقيين إلى يوم الدين مهما حاول البشر اجتثاثهما كما أخبر الرسول عليه السلام في الحديث بأنه سأل الله أن لا يهلك أمته بعامة فأعطاه الله ذلك.

ونسأل الله تعالى في عليائه أن يجعل أفول حضارة الغرب الرأسمالية ودولها الظالمة المجرمة في حق البشر وفي حق المسلمين بالخصوص، أن يكون سقوط دولها قريبًا وخاصة رأس الكفر أمريكا، بما تقوم به من إجرام في حق أهل فلسطين وأهل غزة في هذه الأيام ومعها كيان يهود الابن المدلل لها. وأن يمن الله على المسلمين بقيام دولة الخلافة التي تنشر العدل وتبيد الظلم والظالمين، وتوحد البلاد والعباد، وتحرر فلسطين والأقصى وغزة وباقي بلاد المسلمين المحتلة، في القريب العاجل إن شاء الله، ثم تحمل الإسلام مشعل نور وهداية للعالمين ليبلغ ملك أمة الإسلام كل ما طلع عليه الليل والنهار.

والحمد لله رب العالمين.

يوسف الساريسي- بيت المقدس

الأحد في ٢٢ شعبان ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٠٢٤/٠٣/٠٣